

باب مِنَ الشَّرِكِ الاستعاذة بِغَيْرِ اللَّهِ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتُمْ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أنَّ فيه بيان نوعٍ مِّن أنواع الشرك المنافي للتوحيد، وهو الاستعاذة بِغَيْرِ اللَّهِ لِيُحْذَرَ وَيُجْتَنَّبَ.
الاستعاذة: لغة: الالتجاء والاعتصام والتحرز. وحقيقتها: الهربُ مِّن شيءٍ تخافُهُ إِلَى مَنْ يعصِمُكَ منه.
يعودون: بأن يقول أحدُهم إذا أمسى بوادٍ وخاف مِّن الجن: أعودُ بسيِّد هذا الوادي مِّن سفهاء قوميهِ.
رهقاً: خوفاً أو إثماً.

المعنى الإجماليُّ للآية: أنَّ اللهَ سبحانه يُخبرُ أنَّ بعضَ الإنسِ يلجئون إلى بعضِ الجنِّ لتأمينهم مما يخافون، وأنَّ المتلجأَ بهم زادوا المتلجئين خوفاً بدلَ أن يؤمنوهم، وهذا معاملةٌ لهم بنقيضِ قصدِهِم وعقوبةٌ مِّن اللهِ لهم.

مناسبة الآية للباب: أنَّ اللهَ حكى عن مؤمني الجنِّ أنهم لَمَّا تبينَ لهم دينُ الرسولِ ﷺ وآمنوا به ذكروا أشياء مِّن الشركِ كانت تجري مِّن الإنسِ في الجاهلية مِّن جملتها الاستعاذة بِغَيْرِ اللَّهِ، وذلك مِّن باب

الاستنكار لها .

ما يُستفادُ مِنَ الآية :

١ - أَنَّ الاستعاذَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكٌ ، لِأَن مَّؤْمِنِي الْجَنِّ قَالُوا : ﴿ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن : ٢] . ثُمَّ ذَكَرُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِنْكَارِ ﴿ وَأَنَّهُ

كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ [الجن : ٦]

٢ - عَمُومُ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِلثَّقَلَيْنِ .

٣ - أَنَّ الاستعاذَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ تَوَرُّثُ الْخَوْفِ وَالضَّعْفِ .

٤ - يَفْهَمُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ الاستعاذَةَ بِاللَّهِ تَوَرُّثُ قُوَّةً وَأَمْنًا .

* * *

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :
 «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ
 يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرَحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» ^(١) رواه مسلم .

خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ : هِيَ بِنْتُ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ السَّلْمِيَّةِ كَانَتْ زَوْجَةً
 لِعُثْمَانَ بْنِ مِظْعُونٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَتْ صَالِحَةً فَاضِلَةً .
 بِكَلِمَاتِ اللَّهِ : الْمُرَادُ بِهَا هُنَا الْقُرْآنُ .
 التَّامَّاتُ : الْكَامِلَاتُ الَّتِي لَا يَلْحَقُهَا نَقْصٌ وَلَا عَيْبٌ .
 مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ : أَيِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ فِي أَيِّ مَخْلُوقٍ قَامَ بِهِ الشَّرُّ مِنْ
 حَيَوَانٍ أَوْ غَيْرِهِ .

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ لِلْحَدِيثِ : يَرْشِدُ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى الْاِسْتِعَاذَةِ
 النَّافِعَةِ الَّتِي يَنْدَفِعُ بِهَا كُلُّ مُحْذُورٍ يَخَافُهُ الْإِنْسَانُ عِنْدَمَا يَنْزِلُ بَقْعَةً مِنَ
 الْأَرْضِ بِأَنْ يَسْتَعِيذَ بِكَلَامِ اللَّهِ الشَّافِي الْكَافِي الْكَامِلِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ
 وَنَقْصٍ ، لِأَمْنٍ فِي مَنْزِلِهِ ذَلِكَ مَا دَامَ مُقِيمًا فِيهِ مِنْ كُلِّ غَائِلَةٍ سَوْءٍ .
 مَنَاسِبَةُ الْحَدِيثِ لِلْبَابِ : أَنَّ فِيهِ إِرْشَادًا إِلَى الْاِسْتِعَاذَةِ النَّافِعَةِ
 الْمَشْرُوعَةِ بَدَلًا مِنَ الْاِسْتِعَاذَةِ الشَّرَكِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَسْتَعْمِلُهَا الْمُشْرِكُونَ .

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بِرَقْمِ (٢٧٠٨) ، وَالتِّرْمِذِيُّ بِرَقْمِ (٣٤٣٣) ، وَابْنُ مَاجَهَ بِرَقْمِ (٣٥٤٧) ،
 وَأَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٣٧٧/٦ ، ٤٠٩) .

ما يُستفادُ مِنَ الحديثِ :

- ١ - بيانُ أنَّ الاستعاذَةَ عبادةٌ .
- ٢ - أنَّ الاستعاذَةَ المشروعةَ هي ما كانتَ باللهِ أو بأسماءِ اللهِ وصفاتِهِ .
- ٣ - أنَّ كلامَ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ؛ لأنَّ اللهَ شرعَ الاستعاذَةَ بِهِ ، والاستعاذَةُ بالمخلوقِ شركٌ كما سبقَ ، فدلَّ على أنَّه غيرُ مخلوقٍ .
- ٤ - فضيلةُ هذا الدعاءِ مع اختصارِهِ .
- ٥ - أن نواصي المخلوقاتِ بيدِ اللهِ .

* * *

بَابُ

مِنَ الشَّرِكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ يَدْعُو غَيْرَهُ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦] .

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد : أنه ذكر فيه نوعاً من أنواع الشرك المنافي للتوحيد وهو أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره .
 أن يستغيث : الاستغاثة طلب الغوث وهو إزالة الشدة .
 أو يدعو : الفرق بين الاستغاثة والدعاء : أنَّ الاستغاثة لا تكون إلاَّ من المكروب . وأمَّا الدعاء فيكون من المكروب وغيره .
 ما لا ينفعك : إن عبدته .
 ولا يضرُّك : إن لم تعبده .
 فإن فعلت : أي دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرُّك .
 من الظالمين : من المشركين ، فإنَّ الشرك أعظم الظلم .
 المعنى الإجمالي للآية : ينهى الله نبيه أن يدعو أحداً من سائر المخلوقين العاجزين عن إيصال النفع ودفع الضرر ، ثم يبين له حكمه لو فرض أن دعا غير الله بأنه يكون حينئذ من المشركين ، وهذا النهي عام لجميع الأمة .
 مناسبة الآية للباب : أنَّ فيها النهي عن دعاء غير الله وأنه شرك ينافي التوحيد .

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ :

- ١ - أَنَّ دَعَاءَ غَيْرِ اللَّهِ شَرَكٌ أَكْبَرُ .
- ٢ - أَنَّ أَصْلَحَ النَّاسِ لَوْ دَعَا غَيْرَ اللَّهِ صَارَ مِنَ الظَّالِمِينَ أَيِ الْمَشْرُكِينَ فَكَيْفَ بغيرِهِ .
- ٣ - بَيَانُ عَجْزِ آلِهَةِ الْمَشْرُكِينَ وَبَطْلَانُ عِبَادَتِهَا .

* * *

وقوله: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

وإن يمسسك: أي إن يصيبك.

بضر: بفقر أو مرض أو غير ذلك من أنواع الضر.

فلا كاشف: لا رافع.

فلا راد: لا دافع.

المعنى الإجمالي للآية: يخبر تعالى أنه المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع والضر والنفع دون ما سواه، فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده المعبود وحده دون غيره ممن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عن أن يملكهما لغيره.

مناسبة الآية للباب: أن فيها بيان استحقاق الله للعبادة بالدعاء ونحوه، وأن دعاء غيره شرك لأنه لا ينفع ولا يضر.
ما يُستفاد من الآية:

- ١ - وجوب إفراد الله تعالى بتوحيد الألوهية لتفريده بتوحيد الربوبية.
- ٢ - بطلان دعاء غير الله لعجزه عن نفع من دَعَاهُ ودفع الضر عنه.
- ٣ - إثبات المشيئة لله سبحانه.
- ٤ - إثبات صفتي المغفرة والرحمة لله سبحانه على ما يليق بجلاله.

وقوله: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

ابتغوا: اطلبوا.

واعبدوه: اخلصوا له العبادَة. وهو من عطف العام على الخاص، فإنَّ ابتغاء الرزق عند الله من العبادَة. واشكروا له: اعترفوا بنعمته. وافعلوا ما يجب من طاعته واتركوا معصيته. إليه: لا إلى غيره.

ترجعون: يوم القيامة فيجازي كلَّ عاملٍ بعمله.

المعنى الإجمالي للآية: يأمر الله سبحانه بطلب الرزق منه وحده لا من الأصنام والأوثان، وإفراده بالعبادة والاعتراف بنعمه التي أسداها على عباده وصرّفها في طاعته والابتعاد عن معصيته ثم يخبر أنَّ المصير إليه فيجازي كلَّ عاملٍ بعمله فيجب على العبد أن يحسب لذلك حسابه. مناسبة الآية للباب: أنَّ فيها وجوب إفراذ الله بالدعاء والعبادة والرد على المشركين الذين يعبدون غيره.

ما يُستفاد من الآية:

- ١ - وجوب دعاء الله وحده وطلب الرزق منه.
- ٢ - وجوب إفراذ الله بجميع أنواع العبادَة.
- ٣ - وجوب شكر الله على نعمه.
- ٤ - إثبات البعث والجزاء.
- ٥ - أنه لا تنافي بين طلب الرزق والاكتساب وعبادة الله وأنَّ الإسلام فيه خير الدين والدنيا.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

من أضلُّ: أي لا أحد أضدُّ ضلالاً.

مِنْ دُونِ اللَّهِ: غيرِ الله.

لا يستجيبُ له: لا يقدرُ على إجابته بإعطائه ما طلب منه.

وَهُمْ: أي المدعوون.

عن دعائِهِمْ: أي دعاء مَنْ دعاهُمْ مِنَ المشركين.

غافلون: لا يشعرون بدعاء مَنْ دَعَاهُمْ؛ لأنَّهم إمَّا أمواتٌ أو جمادٌ

أو ملائكة مشغولون بما خَلَقُوا لَهُ.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ: جُمِعُوا لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ.

كانوا: أي الآلهة التي يدعونها مِنْ دُونِ اللَّهِ.

لَهُمْ أَعْدَاءُ: أي يتبرؤون ممن دَعَاهُمْ وَيُعَادُونَهُمْ.

كافرين: جاحدين لعبادة مَنْ عبدَهُمْ.

المعنى الإجماليُّ لِلآيتين: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَكَمَ بِأَنَّهُ لَا أَضَلَّ مِمَّنْ دَعَا

غَيْرَ اللَّهِ مِنَ المخلوقين ممن لا يقدرُ على إجابة دعوته في الدنيا، ولا

يشعُرُ بدعاء من دعاهُ وَإِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ وَجُمِعَ النَّاسُ عَادَى مِنْ دَعَاهُ وَتَبَرَأَ

منه، فليسَ هذا المشركُ إِلَّا فِي نَكِدٍ فِي الدارين، لا يحصلُ على إجابة

فِي الدنْيا وتُجحد عبادتهُ فِي الآخرة أحوَجُ ما يكونُ إِلَيْهَا.

مناسبةُ الْآيتينِ لِلْبَابِ: أَنَّ فِيهِمَا الْحُكْمَ عَلَى مَنْ دَعَا غَيْرَ اللَّهِ بِأَنَّهُ

أَضَلُّ الضَّالِّينَ وَأَنَّ الدَّعَاءَ عِبَادَةً فَمَنْ صَرَفَهُ لغيرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ .
مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَتَيْنِ :

- ١ - أَنَّ الدَّعَاءَ عِبَادَةٌ ، فَمَنْ دَعَا غَيْرَ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ الشَّرْكَ الْأَكْبَرَ .
- ٢ - بَيَانُ شِقَاوَةِ مَنْ يَدْعُو غَيْرَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
- ٣ - أَنَّ الشَّرْكَ هُوَ أَعْظَمُ الضَّلَالِ .
- ٤ - إِبْثَاتُ الْبَعْثِ وَالْحَشْرِ لِلْجَزَاءِ .
- ٥ - أَنَّ الْأَوْثَانَ لَا تَسْمَعُ مَنْ دَعَاهَا وَلَا تَسْتَجِيبُ لَهُ عَكْسُ مَا يَتَصَوَّرُ الْمُشْرِكُونَ فِيهَا .
- ٦ - أَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ فِيهَا خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

* * *

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا
تَذْكُرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

أَمَّنْ: أي مَنْ هو؟

المضطرُّ: المكروبُ الذي مسَّهُ الضرُّ.

خلفاء الأرض: الإضافة بمعنى (في) أي يخلف كلُّ قرنِ القرنِ
الذي قبله في الأرض.

أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ: أي سواء يفعل هذه الأشياء بكم وينعم عليكم هذه
النعم.

قليلًا ما تذكرون: أي تذكرون تذكراً قليلاً في عظمة الله ونعمه
عليكم، فلذلك أشركتم به غيره في عبادته.

المعنى الإجمالي للآية: يحتجُّ تعالى على المشركين في اتخاذهم
الشفعاء من دونه بما قد علموه وأقرُّوا به من إجابة الله لهم عندما يدعونه
في حال الشدة وكشفه السوء النازل بهم وجعلهم خلفاء في الأرض بعد
أمواتهم، فإذا كانت ألهمُّ لا تفعل شيئاً من هذه الأمور فكيف يبعدونها
مَعَ اللَّهِ. ولكنَّهم لا يتذكرون نعمَ اللَّهِ عليهم إلا تذكراً قليلاً لا يورث خشيةَ
اللَّهِ ولذلك وقَّعوا في الشرك.

مناسبة الآية للبَاب: أنَّ فيها بطلانَ الاستغاثة بغيرِ اللَّهِ، لأنَّه لا
يجيبُ المضطرَّ ويكشفُ السوءَ النازلَ ويحيي ويميتُ سواه.

ما يُستفادُ مِنَ الآيةِ :

- ١ - بطلانُ الاستغاثةِ بغيرِ الله فيما لا يقدرُ عليه إلا اللهُ.
- ٢ - أنَّ المشركينَ مقرونون بتوحيدِ الربوبيةِ ولم يدخلهم ذلك في الإسلام.
- ٣ - الاستدلالُ على توحيدِ الإلهيةِ بتوحيدِ الربوبيةِ.
- ٤ - الاحتجاجُ على المشركين بما أقرُّوا به على ما جحدوه.

* * *

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ: أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَوْمُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ» (١).

الطبراني: هو الحافظ الإمام: سليمان بن أحمد صاحب المعاجم الثلاثة.

بإسناده: إلى عبادة بن الصامت رضي الله عنه .
 منافق: هو عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين .
 والنفاق هنا: إظهار الإسلام وإخفاء الكفر .
 نستغيث برسول الله: نطلب منه كفاً هذا المنافق عن الأذى .
 إنه لا يستغاث بي: كره ﷺ أن يستعمل هذا اللفظ في حقّه تأدباً مع الله .

المعنى الإجمالي للحديث: لما قوي الإسلام كان هناك صنف من الكفار رأوا الدخول في الإسلام ظاهراً والبقاء على الكفر باطناً سُمُوا بالمنافقين، وكان يصدر منهم من الأقوال والأفعال ما يُضايق المسلمين ومن ذلك ما حصل من هذا الرجل حتى طلب بعض الصحابة من النبي

(١) أخرجه الطبراني .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩/١٠): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث .

ﷺ كَفَّهْ وَزَجْرَهْ . وَالنَّبِيُّ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، لَكِنْ لَمَّا كَانَتِ الصَّيغَةُ الَّتِي تَقْدَمُوْا بِهَا إِلَيْهِ فِيهَا إِسَاءَةٌ أَدَبَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى - مَا يَنْبَغِي أَنْ تَقَالَ - اسْتَنْكَرَهَا النَّبِيُّ تَعْلِيمًا لِلصَّحَابَةِ وَسَدًّا لِلذَّرِيعَةِ الشَّرِكِ وَحِمَايَةً لِلتَّوْحِيدِ .

مَنَاسِبَةُ الْحَدِيثِ لِلْبَابِ : إِنَّ فِيهِ إِنْكَارَ النَّبِيِّ ﷺ الِاسْتِغَاثَةِ بِغَيْرِ اللَّهِ .

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ :

- ١ - أَنَّهُ لَا يَسْتَغَاثُ بِالنَّبِيِّ ﷺ ، وَغَيْرُهُ مِنْ بَابٍ أَوَّلَى .
- ٢ - الْإِرْشَادُ إِلَى حَسَنِ اللَّفْظِ وَحِمَايَةِ التَّوْحِيدِ .
- ٣ - سَدُّ الطَّرِيقِ الْمَفْضِيَةِ إِلَى الشَّرِكِ .
- ٤ - مَشْرُوعِيَّةُ الصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى فِي اللَّهِ .
- ٥ - ذَمُّ النِّفَاقِ .
- ٦ - تَحْرِيمُ أَذْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لِأَنَّهَا مِنْ فِعْلِ الْمُنَافِقِينَ .

* * *